

محاضرة رقم ٦	
التربية للعلوم الانسانية	الكلية
علوم القرآن والتربية الإسلامية	القسم
علم التفسير	المادة باللغة العربية
Science of interpretation of the Qur'an	المادة باللغة الانجليزية
الثانية	المرحلة
٢٠٢٢ - ٢٠٢٣	السنة الدراسية
الأول	الفصل الدراسي
السادسة	المحاضرة
المرحلة الثانية: التفسير في عصور التدوين أو ما يسمى (مرحلة التأصيل).	العنوان باللغة العربية
The second stage: Interpretation in the era of codification, or what is called (the rooting stage)	العنوان باللغة الانجليزية
محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري	المصادر والمراجع
مباحث في علوم القرآن، صبحي صالح	
التفسير والمفسرون، للذهبي	

المحاضرة : السادسة

المرحلة الثانية: التفسير في عصور التدوين أو ما يسمى (مرحلة التأصيل).

تبدأ هذه المرحلة للتفسير من مبدأ ظهور التدوين، وذلك في أواخر عهد بني أمية، وأول عهد

للعباسيين.

الخطوة الأولى للتفسير:

وكان التفسير قبل ذلك يُتناقل بطريق الرواية، فالصحاباء يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يروى بعضهم عن بعض. والتابعون يروون عن الصحابة. كما يروى بعضهم عن بعض، وهذه هي الخطوة الأولى للتفسير.

الخطوة الثانية:

ثم بعد عصر الصحابة والتابعين، خطا التفسير خطوة ثانية، وذلك حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يُفرد له تأليف خاص يُفسّر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه، بل وُجد من العلماء مَنْ طَوَّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما رُوِيَ في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين، ومن هؤلاء: شعبة بن الحجاج المتوفي سنة ١٦٠هـ، ووكيع بن الجراح المتوفي سنة ١٩٧هـ وسفيان بن عيينة المتوفي سنة ١٩٨هـ، وروح عن عبادة البصري المتوفي سنة ٢٠٥هـ، وعبد الرزاق بن همام المتوفي سنة ٢١١هـ، وغيرهم، وهؤلاء جميعاً كانوا من أئمة الحديث، فكان جمعهم للتفسير جمعاً لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعاً للتفسير على استقلال وانفراد. وجميع ما نقله هؤلاء الأعلام عن أسلافهم من أئمة التفسير نقلوه مسنداً إليهم، غير أن هذه التفاسير لم يصل إلينا شيء منها، ولذا لا نستطيع أن نحكم عليها.

الخطوة الثالثة:

ثم بعد هذه الخطوة الثانية، خطأ التفسير خطوة الثالثة، انفصل بها عن الحديث، فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورُتّب ذلك على حسب ترتب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه المتوفي سنة ٢٧٣هـ، وابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠هـ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري المتوفي سنة ٣١٨هـ، وابن أبي حاتم المتوفي سنة ٣٢٧هـ، وأبو الشيخ بن حبان المتوفي سنة ٣٦٩هـ، والحاكم المتوفي سنة ٤٠٥هـ، وأبو بكر بن مردويه المتوفي سنة ٤١٠هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن.

وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين، وليس فيها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور، اللهم إلا ابن جرير الطبري فإنه ذكر الأقوال ثم وجهها، ورجح بعضها على بعض، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة، واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنية ... وسنأتي بالكلام عن هذا التفسير عند الكلام عن الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور إن شاء الله تعالى.

وإذا كان التفسير قد خطأ هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث، فليس معنى أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له، وهي تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهي تدوينه على استقلال وانفراد، فكل هذه الخطوات، تم إسلام بعضها إلى بعض، بل وظل المحدّثون بعد هذه

الخطوة الثالثة، يسيرون على نمط الخطوة الثانية، من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث، مقتصرين في ذلك على ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة أو عن التابعين.

الخطوة الرابعة:

ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة خامسة، هي أوسع الخطأ وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نُقِلَ عن سلف هذه الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك، بدأ ذلك أولاً على هيئة محاولات فهم شخص، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم، متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وُجِدَ من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة، لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعدٍ عظيم.

دُوِنَت علوم اللغة، ودُوِنَ النحو الصرف، وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي قائماً على قدمه وساقه في العصر العباسي، وقامت الفِرَق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقلي على

الجانب النقلى؁ وصار أظفر شىء فى هذف الكتب؁ هو الناحفة العقلفة؁ وإن كانت لا تخلو مع

ذلك من منقول ففصل بأسباب النزول؁ أو بغير ذلك على المأثور.

وهكذا تدرج التفسفر؁ واتجهت الكتب المؤلفة فىه اتجاهات متنوعف؁ وتحكمت الاصطلاحات

العلمفة؁ والعقائد المذهبفة فى عبارات القرآن الكرفم؁ فظهرت آثار الثقافة الفلسفة والعلمفة

للمسلمفن فى تفسير القرآن؁ كما ظهرت آثار التصوف واضحة فىه؁ وكما ظهرت آثار النحل

والأهواء فىه ظهوراً جلفياً.